الاعيب

بقلم : راشد رستم

دق جرس التليفون مرات كثيرة ولكن لم ينتبه لدقاته المتتالية المتكررة لا (تكريم هانم) ولا زوجها الاستاذ (ناشد) مع أن مكانه قريب من مجلسهما ٠

تتابعت دقات التليفون ولم تنقطع ، أما ناشد فلم يتحرك لها، وأما تكريم هانم فقد قامت اليه أخيرا وهى فى تثاقل ونرفزة ، تلعن الزمان والمكان ، وتتناول السماعة فى حالة عصبية شديدة ما اسرع أن تحولت الى حالة طبيعية هادئة٠ ثم ما كان أتقن من تكريم هانم فى أن تجعل لهجتها لطيفة سهلة ليس فيها من النرفزة والتبرم شىء ٠

دار الحديث مع صديقتها فى غاية من الود والاشتياق ٠٠ وضحكت ضحكات عاليات ٠٠ وأظهرت سرورها بما أخبرته به صديقتها٠٠ وانتهى الحديث التليفونى ببعض الضحكات ٠٠ وبأنها فى الانتظار ٠٠

ثم تلفتت الى زوجها السيد / ناشد فوجدته فى مكانه ساكنا قابعا هادئا ٠٠ وقد هم للقيام الى غرفة الطعام وكان لم يكن يدور أمامه مشهد تمثيلى خفيف من ممثل قدير بارع يجمع بين التراجيديا والكوميديا فى لحظة واحدة !٠٠

وبادرته تكريم هانم تسأله فى غيظ كيف يستطيع أن يتناول شيئا من الطعام فى هذه الحالة الغريبة من الاضطراب !٠

وفى هدوئه ورزانته يقول ناشد أن لا حالة غريبة ولا عجيبة ، وانه هادىء، وأنها هى التى استطاعت بقدرة قادر٠٠ أن تتبدل أمام التليفون بسرعة البرق من حال الى حال ٠٠ من زعيق وضجيج الى ضحك وهزار ، وموعد وانتظار ، وكأن لم يكن شجار !٠

تكريم وهل كنت تريدنى أن أقول لمن تكلمنى بأننا كنا فى مشادة أنا وسعادة ٠٠ زوجى منذ أقبل من الديوان ؟٠٠

ناشد ـ أليست هذه هي الحقيقة ، وان كانت من طرف واحد ..

ثم أخذ طريقه الى غرفة الطعام فاعترضته، ثم عادت فجلست الى المائدة فى عصبية ظاهرة وان حاولت اخفاءها.

أما هو ففى سخرية الحانق الكظيم يطلب منها أن تدله على موضع السم فى الطعام الذى اخبرته عنه بمجرد مجيئه.

تكريم ـ أنا !. أنا قلت ذلك ؟!

ناشد ـ نعم. ألم تخبرينى أن اللحمة التى أحضرها الأسطى عبده و ..

تكريم ـ (تسرع وتقاطعه) أنا !! حرام عليك ..

ويدهش ناشد لسرعة انكارها وتغيير لهجتها، غير أنه أدرك السبب اذ كان قد ظهر محمد السفرجى يحمل أول أصناف الطعام ، وقد لمحته من بعيد وهو قادم ، فأخذت فى المداراة والانكار والتحول بسرعة كعادتها .

محمد السفرجى ـ هذه يا سيدى لحمة باردة بالجلاتين كانت سيدتى قد أمرت باعدادها ، وقد جهزها اليوم الاسطى عبده .

تناولت تكريم قطعة وتذوقها وأظهرت رضاها عنها ، وانها بالضبط كما اشتهتها، وكلفت محمد بأن يبلغ الاسطى عبده امتنانها ..

ناشد ـ (متخابثا) حقيقة أن طعمها لذيذ ورائحتها لطيفة جدا .. ولكن قل لى يا محمد . كانت هناك رائحة كريهة جدا . أظنها من لحمة تنتنة أو من شىء آخر . ثم يتجه الى تكريم ويسألها عن ذلك . لكنها تنظر اليه فى غيظ وحنق وتنكر علمها بشىء من هذا .. ولكن محمد السفرجى يقول بكل سذاجة أنه اشتم هو والاسطى عبده .. وهنا ظنت تكريم هانم أنها انتصرت ، غير أن محمدا عاد يقول ان ذلك كان سبب الجيران ..

ولما خرج السفرجى ناشد ناشد تكريم أن تتقى الله ، وأن الافتراء على الناس حرام.. وأن بعض الظن أثم، وان الحياة بالتظنن فاسدة ومفسدة وأنه كان واجبا عليها أن تبحث أمر الرائحة فى وقتها حتى تتحاشى نسبتها الى لحمة مسمومة أحضرها الاسطى الطباخ ..

ثم كان حديث المائدة بعد ذلك سلسلة من الغمزات والمنغصات ، وبعد الغداء أخذ ناشد فى الاسترواح .. وأما تكريم فقد أخذت ترتدى ثوبا من ثياب ما بعد الظهيرة استعدادا للقاء صديقتها فاطمة هانم ..

حضرت فاطمة هانم تخطر وتتهادى برشاقتها وفى ثوبها الزاهى الثمين وعطرها الفياح . وقابلتها تكريم هانم فى الصالون باشتياق وعناق ثم رنت القبلات بينهما رنينا عاليا تتخللها الضحكات والتحيات ..

وقد أظهرت تكريم لصديقتها سرورها بما تم من التصالح بينها وبين خطيبها وبعودة المياه الى .. مواسيرها !.. وبعد ضحكات سألتها ـ وكيف كان ذلك ؟

وتعتدل فاطمة هانم فى جلستها وكأنها الدبلوماسية المنتصرة وتقول بأنها تظاهرت بعدم الاكتراث به. وفى الوقت ذاته كانت تبعث اليه برسلها خفية تثير فيه الغيرة .. حتى ضاق ذرعا وانتهى به الامر الى أن يتكلم معها أمس فى التليفون معتذرا مستعطفا مترددا يسألها المقابلة .. فكانت تتمنع وهى الراغبة .. ثم أسرعت الى تلبية طلبه.. غير أنها لم تشأ أن تكون المقابلة دون عزول ! .. فتشكرها تكريم هانم وتهنئها

على اتقان دورها وعلى مهارتها تليفونيا · وعلى اختيارها عذولا !··

فاطمة ـ أماعن المهارة تليفونيا فليس من أحد يستطيع أن يجاريك فيها يا عزيزتى ·· لقد شهد الجميع بأنك عبقرية التليفونات ·· فقد تكونين باكية فاذا بك على التليفون ضاحكة·· وهكذا من زعيق وخناق الى سكون ووفاق وعناق·· كل ذلك منك بأسرع مما يتخيله الفكر · ·فانت أستاذتنا تليفونيا ···

تكريم ـ العفو ·· ولكن خبرينى ماذا تفعلين لو أن التليفون صار كالتليفزيون؟ أظن تحصل أزمات زوجية كثيرة !··

فاطمة ـ لا أزمات ولا غيرها ·· اطمئنى ، يحلها الحلال ، وقتها نعرف نعمل ما هو لازم ·· ومع ذلك فقد يكون الامر فى فائدة المجتمع·· فيمتنع الناس عن النفاق والغش ·· ولا يكون النفاق سيد الاخلاق كما هو الآن ··

تكريم ـ نرجو ذلك على أنى لا أظن ذلك ·· فكل شىء سيبقى كما هو تليفونيا ، اللهم الا وسائل الاستخفاء على أنك البركة فيك··فهنا الدبلوماسية كلها ·· وهل يستطيع أحد أن يقوم بمهارة بمثل ما فعلت مع عزيز !·

فاطمة ـ هذا أبسط شىء مع أمثال عزيزى ·· عزيز ··

تكريم ـ أما أنا فلا حاجة لى بهذه المناورات والالاعيب ··· ان ناشدا هو الزوج المثالى ·· لولا أنه أحيانا يعاملنى على أنى لم أفهم الحياة ·· مع أنى عركت الحياة عركا ، وعركتنى الحياة عركا ···

فاطمة ـ احمدى ربك واشكريه على ما فى زوجك من سمات الرجولة والكمال والجمال ·ثم ان الغيرة التى تمارسينها معه المؤسسة على الاحتمالات والظنون والاختراعات ·· هى من أخطر أسباب النكد بين الزوجين ·· وقد تفعل أكثر من ذلك · والعياذ بالله ···

تكريم ـ (فى تخابث) أنى أفتعل ذلك مع ناشد حتى لا «يمرع» !!··

فاطمة ـ اسمعى · قد تفقدين زوجك ثم تعودين فتفقدينه فلا تجدينه · أما هو فقد يفقدك ولا يفتقدك · ان الرجل غير المرأة · حريته أوسع من حريتها ··

تكريم ـ هذا كان زمان· ثم ان الرجل ليس أمكر من المرأة ولا أكثر منها حيلة·

فاطمة ـ وما الداعى للمكر وللحيلة بين الازواج ـ هذا ولم تختص المرأة بالمكر دون الرجل ··

تكريم ـ ان غيرتى هذه هى لأنى أحبه ·· أعبده !·

فاطمة ـ أنها انانيتك وحبك لنفسك· ان كثرة تصرفاتك الشاذة المتكررة الواهية تجعله يضجر ويسأم، واذا سئم المحب ضاع المحبوب ··

تكريم ـ والحب ؟

فاطمة ـ الحب لا يضيع · وقد يبقى ويدوم بدون محبوب · وهذا حال المثاليين ·· لهفى عليهم ·· كان الله معهم ··

تكريم ـ من المشاهد بيننا أن أكثر مايكون تغاضبنا أنا وناشد هو على أمور تافهة ·· وانى أعترف أننى أنا التى تبادره ، مدفوعة بالغيرة والحب ولذلك يقول لى ـ البادى أظلم ·· فأشعر بالقلق يتولانى وأخاف من الحياة ···

فاطمة ـ انها المغامرة ··

تكريم ـ بل انه الحب ··

فاطمة ـ بل انه « الهوس » ·· هو اللعب بالنار · سلاح خطير ··

***

هنا أرادت تكريم تغيير الحديث فنبهت فاطمة الى موعدها مع خطيبها عزيز . ولكن فاطمة هانم قالت انها تعمدت أن تجعله ينتظر على أحر من الجمر .. وان هذه هى احدى طرقها.. فتسألها تكريم لماذا اذن هى تعيب عليها ما تفعله مع ناشد ؟.

فاطمة ـ ان ناشدا هو زوج ، أما عزيز فهو خطيب ، وشتان بين الاثنين. ان الخطيب يجب ترويضه وبالاخص اذا كان مثل عزيز . وأما الزوج فيجب ارضاؤه وبالاخص اذا كان مثل ناشد . ان عزيزا فى حاجة الى الصقل وادراك المسؤولية .. أما زوجك فهو رجل ناضج يدرك الألاعيب ويستخفها ولا يطيقها ، وتذهب بصبره واحتماله ..

تكريم ـ اتفقنا .. وهيا بنا لملاقاة عزيزك عند صديقتك .

***

وكان لقاء فعتاب فصفاء .

ولم يدم الاجتماع طويلا بل كان أشبه بالمؤتمرات التى يمهد لها من قبل ..

ثم صحبت فاطمة خطيبها عزيزا الى احدى دور السينما أو هكذا يقولان ..

وأما تكريم هانم فقد أسرعت الى بيتها، منشرحة الصدر، هادئة الاعصاب، مطمئنة البال ، وقد أخذت على نفسها عهدا بتغيير خطتها ، فلا افاعيل ولا ألاعيب ..

وعند عودتها الى منزلها وجدت زوجها جالسا فى ضوء القمر بالشرفة وحيدا يقرأ على ضوء المصباح فاقبلت عليه بالقبلات ترشقها هنا وهناك ولكنه لم يقابلها بالمثل .. فكادت تهب العاصفة وما أسرع قيامها عند السيدة تكريم هانم ..

ولكن الله سلم ، اذ يسرع ناشد فيقوم فى همة ونشاط ، يطفىء المصباح ويلف على خصرها النحيل الرفيع ذراعه الحنون ، ويدخل بها الغرفة وهو يهمس اليها بأنه لم يشأ أن يقبلها فى الشرفة وله عزول من القمر ...